وجفّت انهارها وكادت تصير مفازة . وان جزيرة القديسة هيلانة منفى نبوليون الاول كانت لما اكتشفها البرتوغاليون سنة ١٥٠٢ مغطاة بالاشجار والاعشاب المختصة بها فأُدخل اليها قليل من المعزى سنة ١٥١٣ فتوالدت فيها وصارت الوفًا في سنين قليلة . وكانت الاشجار فيها كثيرة حتى لم يبالوا ان يحرقوا اثنى الكنس بخشب الابنوس سنة ١٧٠٩ ولكن لم تأتِ سنة ١٨١٠ حتى قرضت المعزى كل تلك الاشجار الغضيضة

هجرة السلالة الاوربيّة

لجناب رفعتلو الدكتور بشاره زلزل

لما كانت مهاجرة اجدادنا الغابرين من غوامض المسائل التي كثر اختلاف علماء عصرنا عليها بين مثبت حقيقتها ومنكر حدوثها في الازمنة التي مضت قبل التاريخ حسب اختلافهم على وحدة الجنس البشري وكانت هجرة السلالة الاوربية موضوعًا للمباحث المفيدة والاكتشافات البديعة العديدة وكنت في ما سبق لي من الكلام على اخلاق الدمشقيين اشرت الى الهجرة المذكورة اظهارًا لمعادلة المحمد الارامي بالمحمد الاوربي من حيثية النشأة فوُجد كلامي وقرًا على كاهل بعضهم فاعترض عليّ اعتراضات لا طائل تحتها انتهت معهُ اخيرًا الى نكران الهجرة المنوه عنها فقد اثرت زيادة هذه المسئلة ايضاحًا على ما ذكرتهُ في الصفحة ٢٣١ من المجلد الرابع من المقتطف غير متعمّد الرد عليهِ

لاتني اولينهُ مني السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جوابا

ولكن ما حملني على العود الى هذا الموضوع هو اعتقادي بانهُ لا يجمل بالسكوت عنهُ بالنظر الى اهميتهِ في هذا العصر واعتبارهِ من ذوي النقد والفضل فاقول

قد عُلِم ممّا سبق بيانهُ في الصفحة ٤٤ من المجلد الثالث من المقتطف ان الفيسيولوجيا توجب ان يكون الجنس البشري واحدًا تسلسلت منهُ الاصناف التي وهم بعضهم باعتبار كلٍّ منها جنسًا قائمًا بذاتهِ وهي ليست الاّ تنوعات او انواعًا صدرت عن المثال الاصلي الذي هو نوعها الاعلى . فكل نوع من تلك الانواع هو سلالة . فالجنس البشري والحالة هذه لم ينشأ الاّ من أبٍ واحدٍ قد امتاز أنسالها بالخصائص الذاتية المقوّمة للجنس . واذ قد تقرّر ذلك فمن البديهي ان يُسأل عن المحل الذي ظهر فيهِ . وهذه المسئلة قد سبق بيانها ايضًا في المجلد الثاني من المقتطف (انظر الصفحة ٢٥٤) وحاصل ما هنالك ان جغرافيا الكائنات الآلية توجب ان يكون للجنس البشري قرار من الارض ظهر فيهِ في بدء وجودهِ كغيرهِ من اجناس تلك الكائنات وان ذلك القرار موجود على الارجح في بقعةٍ من اواسط اسيا حدّها العلاّمة دوكاترفاج من الجنوب والجنوب الغربي بجبال حملايا ومن الغرب بالبولور ومن الشمال الغربي

بالاناتو ومن الشمال بجبال الطاي ومن الشرق بالكنكان ومن الجنوب والجنوب الشرقي بالفلبين والكونون. ولا يخفى ان العائلة البشرية في بدء امرها لم يكن بوسعها ان تشغل مساحة تلك البقعة بتمامها ولكنها لما تكاثرت ونمت انقسمت الى عائلات وتدريات وانبساط ضرب كلٌّ منها في الارض الى حيث يصادف بحبوحة من الرزق تنحل منها الضروري والحاجيّ مما يقدر على تحصيله معاشاً له. ولمّا كان تَطَلُّب العيش داعيًا الى التنقل كما هو شأن البداوة وقد عرف ان البشر في بدء امرهم كانوا على حالةٍ من الخشونة والهمجية لا يستطيعون لديها سبيلاً الى السكون والدعة وتحصيل ما هو فوق الضروري من القوت والدفء الى غير ذلك فاستقرارهم حينئذٍ في محلّ وجودهم يكون ضربًا من المحال. وواقع الامر انه لما ضاق بهم ذلك المركز لكثرتهم اخذوا يرتحلون عنه متشعبين حوله الى جميع الجهات لا يألون جهدًا عن مطاردة الحيوانات الهائلة الضخمة واقتناصها لان الجزء الجوهريّ من غذائهم كان موقوفًا على لحومها. ولما لعبت يد التغيّر بحوادث الجوّ اندفعت تلك الحيوانات الى الجهات الجنوبية فاقتفى آثارها الناس ذلك العصر وقد تركوا من الظُّرَر الذي استعملوه لصيدها في الاماكن التي غادروها ما استدلّ المحققون به وبغيره من آثارهم على حالتهم الهمجية المنوه عنها

هذا هو مبدأ مهاجرة سلفائنا الاقدمين التي لنكرها بعض العلماء الاعلام كالدكتور كوكس والعلّامة اغاسز وغيرهما ممّن اشتهروا بسعة العلوم والمعارف محقيين بان الانسان لم يقوَ وهو ضعيف حقير على تذليل صعاب السفر وقطع المهاد الشاسعة ومقاومة الموانع الطبيعية. وانكروا ايضًا معها وحدة الجنس البشري واعتقدوا بكثرة الاصول المنتمي اليها الانسان زاعمين ان كلاًّ منها وُجد منذ البدء في الاماكن الموجودة فيه سلفاؤه على ما نرى. ولما كان المقام يضيق بنا عن استيفاء آرائهم وايضاح اعتراضات اخصامهم اجتزينا بذكر الطرف المهم مما يناسب موضوعنا

لا يخفى ان المهاجرة لا تخلو من ذكرها صفحة من صفحات التاريخ وهي ليست حديثًا مفترى كما تشهد التقليدات والكتابات التي وُجدت في العالَمين القديم والجديد وقد تقرر وقوعها من الشعوب البالغين اعلى درجات المدنية ومن الذين في اسفل دركات التوحش. وعلم الآثار القديمة والمستحجرات البشرية المكتشفة في طبقات الارض الجيولوجية تؤيّد شهادات العلوم التاريخية. فما بزعمة المعترضون من وجود الموانع الطبيعية وعدم وجود الوسائل السهلة للنقل في الازمنة القديمة كما هي موجودة عند المتمدنين الآن لا يصح ان يكون حجة لنكران هذه الحقيقة لانه ما من مانع يصد الانسان عن التقدم الى جهة مقصودة الاّ الانسان وليس تأثير الاوساط المهلك مانعًا عن الترحل ولو كان ذريعًا وليست الحالة العجيبة من دواعي التوطن ولكنها بالاحرى من دواعي التطواف والجولان لما تقدم. ويتضح ذلك من النظر الى ذوي الجلود الحمر سكان اميركا الاصليين الموقوفة معيشتهم على الصيد فهم مثال يؤثر عنه

حديث رجال تلك الاعصر الخالية في زمان الضجيج وابان الخشونة قبل ان ارتاحوا الى ادجان الحيوانات ورعاية السائمة وقبل ان تهيأت لهم وسائل السكن وبواعث الاستيطان والعمران وقبل ان اتسعت احوال التحاكم للمعاش وحصلوا على ما فوق الحاجة من الغنى والرفه فالوا الى الترف والتأنق بالطعام والكساء وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحضر فاذ قد تقرر ان سلفنا الاقدمين كانوا صيادين عُرف بالضرورة ان التنقل دأبهم وبالتالي كان التنقل دأبا للسلالة الآرية . وهو والحالة هذه لا يكون الى جهة معلومة ولا بتتبع مسير الخطوط الجغرافية المرسومة على الخارطات البسيطة

اما مفاد نص الزندافستا هو الاشارة الى الاماكن التي حطت فيها السلالة المذكورة قبل ان عبرت نهر الكنك وتوغلت بالفتح متغلبة على ركشاً ولا يؤخذ منه انها اختطت تلك الاماكن طريقاً لها ولا كون مسيرها على الخط المستقيم نحو الجهة المقصودة ولا حدوث تلك الهجرة في ايام تعبئت للسفر وشنت اغاراتها على تيبت او الى بورما وصيام فهل من المتنع ان تغادر نخل منها تلك الاماكن سائرة الى جهات اخرى سواء كان اتجاهها الى الشرق او الى الغرب او الى غيرها . وينقطع الظن عن التأويل بري العلماء المحاربر قد اجمعوا على التسليم بصحة المنقول عنها فسموا السلالة الاوريية بالآرية للدلالة على كونها صدرت عن سكان ايران كما يستفاد منها . وليس هذا فقط ولكنهم زيادة عليه استدلوا منها على الزمن الذي حدثت فيه تلك الهجرة فان العلامة فيليان دوسان مارتن الطويل الباع بمعرفة مغازي ذلك الكتاب النفيس يردُّ وصول الهنود الى نهر كابل الى الجيل السادس عشر او الثامن عشر قبل المسيح مبيناً انهم كانوا نخلة من المهاجرين الذين اوصلتهم الزندافستا ويسنا الى البولور وهجرة هؤلاء تردُّ بحسب ما افاد العلامة المذكور الى الجيل العشرين او الخامس والعشرين قبل المسيح وذلك يقابل الزمن الذي هاجر فيه ابرهيم من اور الكلدانيين اي سنة ٢٣٦٩ ق.م. وما من احد يجهل كون الاوريين لم ينشأوا منذ البدء في القارة التي ينسبون اليها ولا ينكر ان تاريخهم قاصر عن بيان احوالهم في زمن جاهليتهم فما فوق ولكنهم لم يثنوا عنان العزم عن طلب الحقائق يبذلون في استخراجها من ذفائن الآثار ما عزَّ ولهان . فما عُلم من تاريخهم عن اجدادهم الاولين هو ان الشاليين او الغاليين غادروا آسيا واجتاحوا منذ القديم قسماً من اوربا الغربية ولا سيما الاراضي المشتملة على بلجيكا وفرنسا حتى الى غارُن وقسماً من سويسرا ثم بعد ذلك امتدت فتوحاتهم حتى الى الجزائر البريتانية . اما علم الآثار والمستخرجات البشرية فقد دلَّنا على شؤون اولئك القوم في بدء امرهم عندما كانوا يأوون الى الغبران والكهوف وعلى هذه الآثار بُني علم طبيعة الانسان بعد ان عقدت للبحث عنها المجامع العلمية الحافلة بكل عالم نحرير وجهبذ فهّامة . واذ لا يسعنا استيفاء الكلام على هذه المباحث المفيدة نقتصر على بعض الشهادات مما يثبت هجرة السلالة الاوريية من جهات اواسط اسيا

(ستاتي بقيتها)